أهمية القدوة للشباب والمراهقين وكيف يجدوها (٣٤)

ما أهمية القدوة في البناء النفسي والاجتماعي للشباب والمراهقين؟

عندما يكون الشخص في مرحلة الصبا أو الطفولة فإن سياسة الثواب والعقاب تكون هي المثلى لفرض عادات أو سلوك معين يريد الأبوان من طفلهما ابتاعه وهذه طريقة مبنية أساساً على الفرض والجبر...

لكن في مرحلة المراهقة والشباب فإن السلوك التربوي المبني على الفرض أو الذي ينهج سياسة الثواب والعقاب لا يفيد بل لا يعد لائقاً.. فالمراهق يريد الآن

(٣٤) طفلك له ٢٠٠ مشكلة – الحلول المثلى – الدكتور سامي محمود – ط١ – ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

طريقة أكثر رقياً واحتراماً لكي يتعلم ويتعرف على ما يجب وما لا يجب ، وهذه الطريقة يجب ألا تكون قائمة على القهر أو التلقين بل أن تكون قائمة على التعلم عن قناعة وطواعية.. وهذا لا يحدث إلا من خلال القدوة..

والقدوة كطريقة للتعليم ووسيلة لبناء الشخصية والتمسك بخصال أو صفات معنية تبدأ مع المراهق طفلا.. لكنها لا تكتمل.. أو تصبح نهجاً إلا عندما يصل إلى مرحلة المراهقة.. ويستمد المراهق القدوة من مصادر مختلفة.

كيف يجد الأبناء القدوة؟

تبدأ القدوة من الأسرة.. فالشاب ينظر لأبيه كقدوة له.. وتنظر البنت لأمها باعتبارها مصدر قدوتها.. والقدوة داخل الأسرة ذات فاعلية وأثر كبير على حياة الشاب أو البنت.. لأن الرابطة الانفعالية والعاطفية التي تذوب في وجدان الأسرة تجعل من تأثر

الأبناء بأبويهم ليس تأثراً في الشكل فقط بل وفي المضمون أيضاً..

ومن المأثور ما يتردد بأن « من شابه أباه فما ظلم»..

إن الابن يخرج على شاكلة أبيه وكذلك البنت فالمثل الشعبي « اكفى القدرة على فمها تطلع البنت لأمها ».. ومن هنا يظهر دور الأب والأم في نقل القدرة لأبنائهم.. ومن الخطير أن يكون سلوك الأبوين مختلفاً أو متناقضاً مع ما يريدان أن ينقلاه لأبنائهما بالقدوة.. فالأبناء يقعون في حيرة وتشكك ويفقدون الثقة فيما حولهم..

وقد يجد الأبناء القدوة في أحد الأقران أو الأصدقاء عندما يخرجون إلى المدرسة أو الجامعة ، فقد يعجب الشاب بأحد أصدقائه فيتأثر به ويقتدي بخطواته ويأتي هنا دور الأسرة في الرقابة فقد يكون مصدر القدوة

ليس أهلاً لها أو من أصحاب السوء..

وكثير من الشباب والمراهقين يعجبون بأحد نجوم الفن أو الأدب أو الرياضة ويعتبرون هذا الشخص مصدر قدوة لهم ويصل التأثر بالبعض إلى درجة أن يجنحوا إلى تقليد هذا الشخص في كل حركاته وسكناته وتفكيره..

والانحراف في القدوة عند الشباب يحدث عندما يتعرض الشاب لإحباط شديد نتيجة الفشل أو عدم تحقيق الأهداف فإنه عندئذ يجنح إلى التطرف ويبحث الشاب عن حلول سريعة حتما ولو كانت سطحية وهو يبحث جاهداً عن القائد المتسلط الذي لا يدع له مجالا للتفكير حتى ولو كانت قيادته على حساب الصدق. إنه ببساطة يبحث عن القائد المنقذ الذي يقول له: أتبعني تجد الخلاص.. وهذا ما يحدث لدى كثير من جماعات

التطرف الديني.

هل يمكن القول:أن الشباب افتقد القدوة هذه الأيام؟

منذ سنوات غير بعيدة ، تغيرت مفاهيم كثيرة حيث طغت المادة وتراجعت القيم والتقاليد التي تعود عليها مجتمعنا ، فبعد مرحلة طويلة من الحروب والكفاح ومحاولة الاعتماد على الذات ورفض الهيمنة على مقدرات شعبنا جاءت مرحلة الانفتاح.. جاءت هذه المرحلة بعد فترة حرمان طويلة وللأسف لم يحسب أو يقدر تأثير هذا الانفتاح بمفاهيمه وأسلوبه على طبيعة شعبنا عامة والشباب بصفة خاصة..

لقد غابت فجأة القدوة التقليدية وحل محلها القدوة لملكية النقود بأي ثمن ، وأي شكل.. لم تعد القدوة تمثل قيمة للعمل أو الكفاح أو تحقيق الذات من خلال الجهد والابتكار.. بل أصبحت القدوة تمثل

الكيفية السريعة للثراء هذا هو ما يسود مجتمعنا اليوم..

ومن المؤسف أن هذه المفاهيم سادت الكبار والصغار على السواء وبذلك ضاع الشباب وسبحوا مع التيار وهذا في الحقيقة ما يسبب للكثير منهم إحباطاً شديداً ، لأن بعض التغير قد ساد اتجاه الدولة مؤخراً وتحول الانفتاح في شكله إلى الإنتاج والعمل ولم يعد استهلاكاً كما كان سائداً وبالتالي فقد أغلقت كثير من الأبواب أمام الشباب فأصبحت الفكرة غائرة في طواياه ولكنه لا يستطيع تحقيقها نتيجة تغيير المفاهيم فكان الإحباط الذي يلازم كثيراً من شبابنا اليوم..

ولم يجد البعض من حل لهذا الصراع والإحباط داخله سوى بأحد اتجاهين ، إما بالسفر والتغرب سعياً وراء تحقيق الربح السريع أو بالتطرف وكراهية المجتمع ورفضه والتحول إلى الانعزال عنه أو تكفيره.

إن عودة القدوة الصحيحة أمر هام يجب أن يتحقق ، لا من خلال المجتمع فحسب ، بل من خلال الأسرة وأن تشارك الدولة في تحقيقه من خلال أجهزة الإعلام والصحافة.. والقدوة التي نبتغيها هي القدوة التي تؤكد القول بالعمل ، والتي تحارب الانحراف والفساد مهما كان وفي كل صوره والتي تؤكد على أهمية العمل الخلاق المنتج من خلال الأمثلة التي يلقى الأضواء عليها وتطرح دائماً أمام الشباب لتشجيعه على الطموح والعمل الجاد مع تقديم كل التسهيلات له لتحقيق ذلك.

□□□